جمع بين ملامح الثقافة الصينية والغربية واختلاط متعدد الثقافات

— بلدة الأجانب بوويي

- ◇ نصب المباني والقلاع، شهادة تاريخ المغتربين
- ◇ تعرج المباني، صفوف متتالية
- ◇ قاعات العبادة، المشاهد الرائعة

obeikan.com

الخليط بين الممر الغربي بالسقف الصيني

تمتاز المباني الشعبية في مناطق ووي بقوانغدونغ بطبع الثقافات الغربية المميزة اختلافا من المباني المعمارية التقليدية الصينية. تختلط الأشكال من الرومي والقوطي البيزنطي والإسلامي والتقليدي الصيني، فإن هذا المشهد المميز يرجع إلى خلفية التاريخ الخاصة.

إن مناطق ووي تعد بلدة المغتربين المشهورة في الصين. هجر كثير من أبناء ووي إلى هخارج الصين لكسب الرزق من السنوات الأخيرة في سلالة تشنغ إلى السنوات الأولى في جمهورية الصين. بلغ عدد المغتربين من ووي إلى الخارج ميلونا وستمائة ألف مغترب من المغترب الصيني والصيني وأبناء هانغ كونغ وماكو حسب إحصاءات في عام ١٩٩٩، وانتشروا في أكثر من مائة دولة ومنطقة في القارات الخمس في العالم. ما عادوا بالثروات الكثيرة إلى الصين فقط، بل بالفكرة الغربية الجديدة والمفهوم الجديد ومنها الثقافة المعمارية والفنون المعمارية، مما دفع تشكيل الميزة المحلية الجامعة بين الصين والغرب الكامنة في المساكن الشعبية في ووي الآن عن طريق التمازج بين النمط المعماري التقليدي الصيني والثقافة الغربية.

ليس ووي اسم المنطقة المستقر، بل التسمية العامة لمناطق مقاطعة قوانغدونغ الخمس أي شينهوي وتايشان وأنبينغ وكايبينغ وخهشان التي تنتسب الآن إلى مدينة جيانغمن في وسط مقاطعة قوانغدونغ. فلماذا يرى الناس أن ووي الكيان الواحد ولا يسمون بخمسة أسماء؟ ففي الحقيقة، أن ووي ليس مفهوما

مجموعة المساكن الشعبية بشكل القلاع في القرى

جغرافيا فقط، بل يعكس بشكل أكثر نوعا من الثقافة المحلية وبيئة العيش الجماعي. وإن هذه الثقافة نشأت في ووبي بعد الوقت الطويل اختلافا عن جنوب فوجيان التي تتمثل في اللهجة المشتركة والتاريخ المشترك والمناخ الجغرافي المشترك. أما المساكن الشعبية، فهي تمثيل مادي للحيويات في الثقافة المحلية، فسكان ووبي يتمتعون كليا بالميزات المشتركة الكثيرة وتغلغلت فيها خصوصية ثقافة المغتربين بشكل عميق أيضا.

نصب المباني والقلاع، شهادة تاريخ المغتربين

في بلدة المغتربين، مباني القلع المنتشرة في براي الأرياف كانت مبنى أعمق انطباعا أشد عكسا عن خصوصية بلدة المغتربين المحلية. كان مبنى القلع مبنى يشبه بالقلعة ويستهدف رئيسيا إلى حماية البلدة ومقاومة هجوم قاطع الطريق. فإذا هناك أحوال الطوارئ، انتقل الناس إلى مباني القلع لطلب الأمن. ففوق المبنى ممر ممتد بشكل كثير لتوفير التسهيلات للتغلب على العدوي. تقع دائما المباني خلف الأرياف أوجانبيها وفي المناطق الأعلى. فلكل ريف مبنيان أو ثلاثة على الأقل، وازداد إلى حد سبعة أو ثمانية على الأكثر. وتوجد كثير من مباني القلع في معظم مناطق ووبي، منها مباني القلع في كايبينغ التي عددها الآن أكبر، فحتي عام ٢٠٠٠، ما زال عددها أكثر ألف وأربعمائة حسب الإحصاءات غير الكاملة.

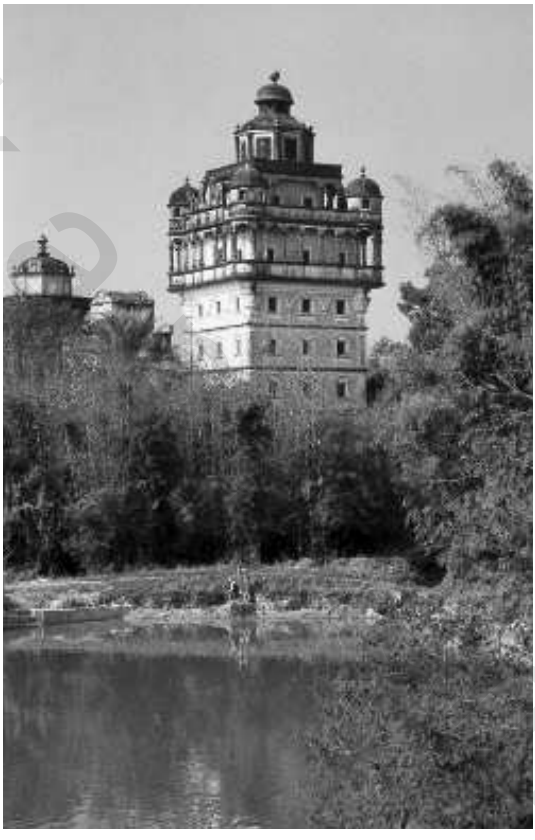

مبنى في تايشان ببلدة المغتربين، شكل جميل وتناغم معماري بين الحجر والطبيعة

ظهر الطراز المعماري مثل هذه مباني القلع في الوقت المبكر نسبيا، ففي السنوات الأولى في سلالة تشينغ، ظهر مبنى القلع هذا الخاص في أرياف كايبينغ. فإلى أوائل القرن العشرين، تحسنت بشكل كبير الأوضاع الاقتصادية لعائلات المغتربين بسبب دخول أموال المغتربين بشكل كبير. فيجدر بالذكر

أن قمة التحويلات في تايشان بلغت عشرة ملايين دولار أمريكي كل عام قبل عام ١٩٢٩، وازداد بعد هذا العام، بلغت ثلاثين ميلون دولار أمريكي. وفي الوقت نفسه، تدهور الأمن في مجتمع أرياف المغتربين بسبب أن الأغنياء كانوا مصدر المالية، فكثرت السرقة والابتزاز، فاضطر الناس إلى بناء مباني القلع لطلب الأمن والسلام. فعلى الرغم من أن تزال وظيفة الدفاع الآن، إلا أن مبنى القلع شهد التاريخ وخلق جو التاريخ المميز وتمتع بالجمال الخاص بالإضافة إلى تقديم الاستكشاف المتميز لمباني المساكن المحلية.

دائما ما تكون مبنى القلع بوويي من ثلاثة طوابق إلى ستة طوابق، ويوجد سبعة طوابق إلى تسعة طوابق فريدا وهو مكعب أساسيا. ينقسم إلى ثلاث أجزاء أي جسم المبنى والطابق الممتد والسقف. يقع جسم المبنى تحت المبنى من أجل الدفاع والحماية الذي جداره ثابت وسميك وقوي نوافذه صغيرة ولها منافذ كثيرة. شكل جسم المبنى بسيط، يجعل الجدر الكبيرة الإنسان يشعر بشعور الكمية القوية والنجز بسبب الدفاع العسكري، ولكنه ليس قلعة حقيقية، بل فضاء حياة السكان فلا بد تمثيل الدعوة إلى الجمال والحب للحياة مثل الخط الدقيق فوق النافذة. أما الجزء الممتد، فيستخدم للتنبيه والهجوم على العدو وغيرهما من الأدوار العسكرية كالأثقاب لمنافذ البندقيات. من منظور الشكل، تظهر بعض الطوابق أنبونيا، أومثمنا والأكثر الأعمدة الأوروبية. فنجد المغزي الجمالي والبيئي منه بالإضافة إلى الدور العسكري. وفي صدد الجمال،

مبنى السلام داخل كاي بينغ

الخطوط الدقيقة على عضادة الباب

تتكامل الأعمدة المنفتحة والجدر الحجرية المنجزة، فشكل مقارنة الوضع الحقيقي؛ في علم البيئة، ينفع لتحسين بيئة العيش الرطبة في الجنوب تحت المناخ الحراري. فلا يفوتنا هنا أن سقف مبنى القلعة هو الذي أروع جزء من المبنى الكلي الذي على القواعد المكعبة أو المتعددة الجوانب مما شكل خطوط الأفق المتعدد الأنواع والألوان.

من منظور المواد الهندسية وهياكل البناء، ينقسم مبنى القلعة إلى مبنى الطين ومبنى القرميد ومبنى الصليب والخرسانة. كان الطين والقرميد من المواد الهندسية التقليدية للمساكن الشعبية الصينية، أما مبنى الخرسانة فهو من تأثير الثقافة الغربية. بنيت معظمها في العشرينات والثلاثينات في القرن العشرين باستخدام المواد التنفيذية المتقدمة والفنون بعد امتصاص الأنماط المعمارية المختلفة من الدول عن طريق المغتربين وعائلاتهم. فكلها تمثل بشكل وافر التمازج بين الثقافات المتعددة الصيمية والغربية في الماضي والآن: الأول هو جمع بين عناصر الثقافات

سقف البرج الحجري على النمط البيزنطي وتنوع الأشكال والألوان

المجموع الرائع بين العماد الملون الصيني الغربي

العمارة «كوخ» نمط يعكس أيضا تصادم الثقافة المعمارية الصينية والغربية

المتعددة في المنطقة الصغيرة مثل الطراز التقليدي الصيني والطراز الرومي في اليونان القديمة والطراز القوطي في القرون الوسطى الأوروبية والطراز الإسلامي؛ الثاني هو باستخدام مختلف الأنماط المعمارية في المبنى الواحد مما شكل الجماعة.

في بلدة المغتربين، يجذب المبنى الشعبي لو أنظار الناس. كان لو تسمية جميلة للمساكن التي بناها المغتربون الأغنياء مثل الفيلات في عصرنا. دائما ما تكون لو من الطابقين أو ثلاثة طوابق ويقع في المناطق اللطيفة البيئة المحيطة بها ويصلح التصميم والأشكال للسكن والعيش. يشبه شكل لو بمبنى القلعة مقارنة مع مبنى القعلة بسبب تناسب الهياكيل والمواد الهندسية، ولكن وظيفة الدفاع للجدر ضعيفة وجو العيش زائد بسبب خفض الطابق وكثر النوافذ. وبالإضافة إلى ذلك، أصبح طابق المبنى الممتد مقعرا، فازداد مناسبة نتيجة الفضاء ونسبته.

تعرج المباني، الصفوف المتوالية

إذ نقول إن مبنى القلعة هو نموذج مثالي لقثافة سكان الأرياف في ووبي، فمبنى تشي هو نموذج مثالي لثقافة سكان المدن. كانت المدن مراكز التجارة، فأين توجد المدينة توجد التجارة. يجدر بالذكر أن المنشآت التجارية الكبيرة في الماضي قليلة جدا، فتغلب عليها مباني الجمع بين التجارة والسكون، وفوقها للسكون والتحت للتجارة؛ أو خلفها للسكون والأمام للتجارة. فأصبح مبنى تشي الجامع بين التجارة والسكون نوعا مثاليا من المساكن الشعبية في بلدات بينغنان.

كان مبنى تشي المباني التجارية السائدة نسبيا في جنوبي الصين. يتكون دائما من الطابقين أو ثلاثة طوابق، الأول أمامه هو ممرات، فكل الممرات لجميع المباني تشكل الأرصفة العامة. ففوق الأرصفة، توجد الممرات من أجل تجنب الناس من الأمطار والحرارة بسبب كثرة الأمطار والحرارة في مناطق جنوبي

الصين؛ فأضاف الغرف على الممرات لتوسيع مساحة البناء مع ازدهار البلدات، فتشكل مبنى تشي الأولي. تلقى مبنى تشي إعجابا من قبل التجارة والزبائن بسبب أن تصميمه يصلح للاستهلاك ويدفع التجارة. ينتشر ويتطور مبنى تشي بشكل واسع في جنوبي الصين، وذلك لأنه يرجع إلى التمازج المتناغم بين الثقافة المعمارية الغربية والمناخ في بلدات جنوبي الصين والأنشطة الاقتصادية. فيمكن القول إن مبنى تشي يتمتع بخاصية الاختلاط بين الثقافات الواضحة في نشأته مثل مبنى القلعة، هو أيضا خليط من الثقافة التقليدية الصينية والثقافة الغربية.

ينقسم مبنى تشي إلى ثلاثة أجزاء من الفوق إلى التحت: أعمدة الممر وجسم المبنى والفوق. تختلط الأعمدة من الأشكال الصينية والغربية المختلفة: منها الطراز العمادي من روما باليونان، والعماد المكعب والدائري الصيني البسيط. أما بشأن جسم المبنى، فهناك ثلاثة آراء: الأول هو الذي فتحت النوافذ في الجدر بينما أضيف الزخارف الصينية أو الغربية عليها؛ الثاني هو الذي يستخدم الفضاء المقعر الممرات الخارجية بطراز رومي ويوناني وإسلامي من الأنواع المختلفة؛ الثالث هو الذي الممتد كشرفة بطراز

الشارع التجاري بمنطقة تانغكو ــ كايبينغ، تقسيم المبنى من أعلى إلى أسفل من ثلاثة أجزاء

مكعب وقوسي وطي، أما الباب الخلفي، فله الرسومات المنقوشة أو بطراز شفافي أو برسومات حديدية. تتمتع أسقاف مبنى تشي بأنواع وأشكال متعددة ومعظمها تتخذ الرسومات بطراز باروكي الغربي البسيط أو طراز روكوكي حتى أسلوب جعل الجناح الغربي على المباني.

تقع معظم مباني تشي في شوارع التجارة في أشواق بلديات المزدهرة، فتوزيعها على الشوارع. ودفعت أسعار الأرض في البلديات والمدن تنمية مبنى تشي إلى الغرفة الصغيرة والعميقة، فكل هذه المباني فيها التهوية والأشعة الشمسية وتوفير المياه وصرف المياه والمواصلات، ويعتمد رئيسيا على الفئر المساوي والصالات والممرات. فكثافة التصميم تتكيف فعليا مع المناخ المحلي قويا رغم أنها ليست جميلة. تقع معظم الأمكنة في ظل المباني بسبب الحرارة وطول إشراف الشمس في الصيف في ينغنان، ومع تهوية الفئر الجيدة، فجعل السكان يشعرون برباطة الجأش.

يشعر الناس مباشرة بالتكامل المتمثل في أجسام المباني المقعرة عندما يتمشون بين مباني تشي، أي تتمتع

مبنى تشي ذو الشرفات

أنماط مختلفة في قمة مبنى تشي

زهورالجبل في أعلى مبنى تشي

بالاستمرارية الجيدة البطنية. وذلك يرجع رئيسيا إلى شعور الإيقاعات التي تشكله المباني المتكررة بفصل حجم صغيرأي تأثير الصف على التوالي. ورغم من اختلاف كل الغرف إلا أن عدد الطوابق وارتفاع الطوابق متشابه، حجم الغرفة قريب، الألوان متطابقة مما شكل صور التجارة الجميلة. فذلك يعجب كل واحد من المهندسين المعماريين.

في صدد مشاهد المدن، جاء الاختلاط المتعدد الثقافات في مبنى تشي بالأشياء لا علاقة بينها حتى المتناقضات مما شكل المشهد الحيوي الدراماتيكي. تختلط المباني المتنوعة الأشكال، تتنوع اللافتات، تتعدد البضائع، كلها تبدو الاختلاط بل في الوقت نفسه تبدو حيوية. فهو الذي الحيوية التي جاء بها هذا الاختلاط يجعل الشوارع مفعمة بروح الدعابة وذوق العيش. فمن اللازم أن تتمتع شوارع البلديات والمدن المزدهرة بالاختلاط المفعم بالحيوية.

الشوارع التجارية بين مبنى تشي

صالات العبادة، المشاهد الرائعة

إن خاصية الاختلاط المتعدد الثقافات المعمارية لمباني المغتربين لا تتمثل في المساكن الشعبية العامة فقط، بل في بناء صالات العبادة التي تعتمد الروح عليها. وقد ضربت البطريرك جذورها في قلوب الصينيين، فدفعت الوحي الديني القوي وعلاقة القرابة من أصبح غنيا خارج بلدته إلى العودة إلى مسقط رأسه، فهو الذي يظهر بشكل واضح بين المغتربين الصينيين. ليس تأثير الأديان سلبيا كاملا بين المغتربين الصينيين، بل ارتفع إلى الشوق إلى الأقربة والحنين العميق وحب الوطن القوي. ففي أوائل القرن العشرين، عاد عدد لايحصى ولا يعد من المغتربين الصينيين إلى بلادهم لفتح المصانع وتأسيس

ينتشر «الاختلاف» أفعم حيوية في كل مكان لشارع تجاري البرج بمنطقة تشى كان ــ كايبينغ

صالة فنغتساي بكاي بينغ

المعاهد والاستثمار في المصالح العامة مما دفع التنمية الكاملة في مجتمع المغتربين اقتصاديا وثقافيا. فيمكن نرى مما ذكرنا أن كثيرا من المغتربين الصينيين في الخارج وقلوبهم في الموطن ورثوا الحضارة التقليدية الصينية، فما إن يتحقق في الأعمال حتى بنى صالة العبادة لمدح الأجداد وتشجيع الأحفاد بسبب ورث النظام القديم.

ولكن خاصية المغتربين تمثل الثقافة المحلية الخاصة والخلفية الاقتصادية. وقد عاش المغتربون الصينيون في الخارج وقتا طويلا، فقبل أنماط الحياة الغربية الكثيرة وشعور الجمال. فلا بد أن صالة العبادة تعكس تحويل هذه الأفكار ففي صدد التصميم ونمط الزخرفة والفن المعماري والمواد الهندسية، تظهر المشاهد المتمثلة في الجمع بين الصين والغرب والاختلاط المتعدد الثقافات.

تفاصيل الزخارف لبوابة مدخل الصالة فنغتساي

في صالات العبادة التي بناها المغتربون وعائلاتهم في ووبي الآن، كانت صالة فنغتساي من أشهر وأمثل التي تقع في جياودي في بلدة ديهاي بكايبينغ وهو مبنى تذكري لعبادة الأجداد يوي جينغ. كان يوي جينغ (٩٩٩-١٠٦٤) وزيرا مشهورا في امبراطور سونغ حسب التسجيل التاريخي. وهو من تشيوجيانغ بقوانغدونغ. فلتذكيره، بنى المبنى في تشيوجيانغ (في مدينة شاوقوان الآن)، ويسمى بمبنى فنغتساي. وبعد ذلك الوقت، أطرق

الأحفاد المباني أو المنظمات بفنغتساي ووشي من أجل تذكير أجدادهم مثل صالة فنغتساي والصالة العامة بووشي وصالة فنغتساي بيوي بأمريكا والمعهد بووشي في قوانغتشو.

بنيت صالة فنغتساي بكايبينغ في العام الاثنين والثلاثين في عهد قوانغشيو في امبراطورة تشينغ (١٩٠٦)، ينقسم المبنى الرئيسي إلى صالة فنغتساي ومبنى فنغتساي، وكانت تبلغ مساحته خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وستين مترا مربعا. تهدف رئيسيا صالة فنغتساي إلى التذكير وبجانبه المعاهد، فتوجد مربعات كبيرة في الشرق، لمجتمعات كبيرة والملعات للدارسين حسب الخاصية الجغرافية؛ بنيت صالة فنغتساي في المركز أي المبنى الرئيسي؛ الأخيرا هو مبنى فنغتساي الممتازة بالنمط الغربي القوي.

أما صالة فنغتساي، فبناها المهندسون الصينييون حسب النمط المعماري الغربي وهي من تبادل الثقافات الصينية والغربية عن طريق شعبي. لا يفوتنا هنا أن التمازج بين الصين والغرب في النمط المعماري والأسلوب يبدو أكثر حيوية والامتياز الطبيعي، وذلك لأن المنهدين الشعبيين تنقصهم التدريبات الرسمية، فلهم حرية أكثر في أسلوب البناء. تشابه الطراز والوظائف لصالة فنغتساي مع صالات العبادة التقليدية أي لها ثلاثة مبان وخمس عشرة صالة وستة أفناء. تناسب التصميم وتكاملت الهياكيل وتعظم الطراز

<<جدار فصل الحريق>>
يقصد جدار فصل الحريق بالجدر الجبلية الأعلى من قمة سقف البيت. من أجل التجنب من حريق البناء الأخرى ينتشر إلي نفسه .

سور الجبل تتجه الى السماء من ثلاث جهات

والجسم مما طراز الفناء الكبير المنفرد والمرتبط. فأكبر خاصية تحقيقا هو جدر فصل الحريق الثماني عشرة. تتخذ هذه الجدر تقليد جدار جبال فنغأر في صالة العبادة المحلية الأمر الذي دفع إبداع التشكيل المعماري الخاص. فإن سلسلة من جدر جبال فنغأر ذات ثلات درجات، والدرجتان الأوليتان وزاويتهما الحادتين بدرجة ٧٥ تشعر الناس بشعور ارتفاع الجناح والاتجاه إلى السماء المباشر من منظور الشفافية.

من حيث فن الزخرفة المعمارية، و تستخدم كثيرا الفنون المعمارية التقليدية الصينية في صالة العبادة مثل النحت الحجري (نحت بارز «الاولياء الثمانية يجتازون البحر» فوق الجدار الحجري في المدخل الرئسي) ونحت خشبي ونحت طوبي وتمثال فخاري والحديد والخ، بل تختلط زخرفة تفصيلة ببناء أسلوب غربي . مثلا سطح المدخل من خلال زقاق الطويلة الجانبي باستخدام الأسلوب التقليدي والغربي : في سقف زهرة الجبل الغربي، وفيه يغطي نقش الزينة مثل شكل رزمة الدردور ،ثم فيه طنف قرميدي لماع ورسم جداري ذو أسلوب صيني، تحت اللافت يضم زخرفة تفصيلة ذات أسلوب غربي إلي كتابة ، ويلعب دورا انتقبال إلي باب مقوس ذو أسلوب غربي .

أساس واعمدة مدخل الصالة فنغتساي استخدم فيها بكثرة النحت الحجري

كانت العمود في صالة فنغتساي تحفة من الصين والغرب أيضا، منه بعض أعمدة بناء ديكور الأزهار علي غرار بالكامل اسلوب غربي قديمي اليونان والروماني ، ولكن لا يوجد خدة حادة أو رقيقة في عمود وعدم وجود نسبة من الطراز العمود اليوناني الروماني أيضا. حينما تحت بعض عمود تضم أساس العمود الصيني إليه . معظم من أنواع الأعمدة عمود الحجر وهناك أيضا كمية ضئيلة من عمود الحديد، مثلا «شيوان» نصف مثمن الزوايا الناتئة من أمام الصالة هي المبنى ذو سطح القرميد المزجج الأخضر ودعمها بأربع عمود الحديد، وتعكس تطبيق المواد الجديدة والتكنولوجيات الجديدة .

في جميع أنحاء أبراج وويى، من مبنى القلعة ومبنى تشس وصالة العبادة، فكلها تمتاز بالنقاط المشتركة الواضحة. التي تمتص بجرأة الثقافة الأجنبية ، والانصهار التكافلية نشطة مع الثقافة المحلية لتشكيل ثقافة جديدة المعمارية. المساكن

شوان صالة فنغتساي الجامع بين الشكل الصيني والغربي

الفضاء داخل صالة فنختساي وتفاصيل الزخرفة

قوس مدخل النفق من الرسوم الملونة ذات الطابع الصيني والغربي المندمج

الشعبية بوويى هي في معظمها « المبنى لا المعماريين» ، والناس العاديين لا يقتصربأساليب والقواعد ، طالما أن يكون مفيدا فاستخدام بالانسان، وعدم وجود قيود خارج منطقة الجزاء ، على الرغم من أن هذه الممارسة ليست بالضرورة للحصول على أفضل النتائج ، ولكن هذه الظاهرة تعكس الناس مسقط بعقل مفتوح ، وإبداع ينغنان للثقافة المتمثل في طلب الجدادة والتغيير والخير.

(يوي فنغ)